الفصل الأول

تحديد المدركات وضبط المصطلحات

obeikandl.com

قبل الخوض في مفردات هذا المؤلف الذي نستهل به هذا العمل الموسوعي أردنا أن نحدد مجموعة من المدركات ، ونضبط جملة من المصطلحات تمثل في مجملها المسائل والقضايا التي يدور حولها التحليل في هذا المدخل الاستفتاحي ، ولعل أول ما يصادفنا هو مدرك أو مصطلح المنهج ، ولهذا المصطلح دلالات لفظية ومضامين ذهنية فكرية ينبغي أن نوضحها ونبين كيف استخدمت في هذا الوضع ، كذلك فالمصطلح له دلالته العامة كما يرد في الدراسات المختلفة ، وكما يعتمد عليه كوسيلة للبحث العلمي ، وله في ذات الوقت دلالاته ذات الخصوصية وهي التي ورد بها في هذا المؤلف ثم في العمل الموسوعي بالكامل .

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى خصوصية المصطلح في هذا المؤلف وفي العمل الموسوعي بالكامل ، لأن ثمة اختلافاً بيناً بين الاستخدام الذي تم به المصطلح في هذا العمل الموسوعي وبين استخدامه في كتابات وأعمال أخرى ، وذلك الاختلاف ينبع من طبيعة العمل وطبيعة أهدافه وغاياته وخصوصية منطلقاته ومرجعياته التي انطلق منها .

ثم هناك كذلك مدرك الطرح الذي يحتمل معنيين : المعنى الأول عام يعني بكل رؤية أو رأي أو معالجة أو ابتكار ، ويتحلى بالمثالية ويتزي بالنموذجية وله مصادره ومنابعه المتعددة ، ويستهدف دوماً تحقيق الأمثل والأصوب ، المعنى الثاني خاص ينصرف إلى وجهة نظر الإسلام تحديداً في كافة المتغيرات والمستجدات والمسائل والإشكاليات التي تتعلق بالمجتمع الإنساني أساساً ثم بعلاقته بعناصر الوجود وموجودات الكون ومعطيات الطبيعة ، ولهذا الضرب من الطرح كذلك مرجعياته الشرعية التي تمثل مصادره ومنابعه .

وأخيراً نلتفت إلى المفهوم الأساسي وهو منهج الطرح الإسلامي ، حيث يشير إلى طريقة وأسلوب ذي قواعد وأصول تستهدف عرض وجهة نظر الإسلام ورؤيته للمتغيرات والمستجدات والمسائل التي تتعلق بالمجتمع البشري .

في هذا الفصل نتصدى لدراسة المفاهيم والمصطلحات الثلاثة التي أشرنا إليها لنستوضح معنى منهج الطرح الإسلامي ، وذلك من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : في معنى " المنهج " ودلالاته .

المبحث الثاني : في مضمون " الطرح " وخصوصياته .

المبحث الثالث : ماهية منهج الطرح الإسلامي .

obeikandl.com

المبحث الأول

في معنى المنهج ودلالاته

اتسع انتشار هذا المصطلح ليأخذ معان عديدة ، ويشير إلى دلالات متباينة بما يتواءم مع محتوياته اللفظية ومضامينه العقلية والفكرية ، وقبل أن ننطلق إلى التفصيل التحليلي للمصطلح نعمد إلى رصد المعاني والدلالات التي قد يشير إليها ، وذلك من خلال الآتي .

أولاً : المعاني والدلالات المختلفة :

لمصطلح المنهج معاني ودلالات عديدة ، أولها ما يتعلق بالمضمون اللفظي وثانيها ما يرتبط بالدلالات الاصطلاحية التي استخدم فيها المصطلح واشتهر بها ، وتوضيح ذلك في التالي :

❖ المضمون اللفظي :

يقصد بالمضمون اللفظي ما يجتمع للكلمة من معنى بحكم حروفها ولفظها ، وعليه فالمضمون اللفظي هو المعنى الذي تفيده الكلمة من حروفها وطريقة لفظها ، ووفق هذا السياق فالكلمة ينبغي أن تكون ذات أصل في اللغة قابل للاشتقاق والصياغة في أشكال عديدة ، أما الكلمة الأعجمية أو الجامدة والتي ليس لها أصل في اللغة فمعناها دوماً يكون اصطلاحياً أي يتفق عليه الناس ، أو يجتمع لها بحكم الاستعمال والتداول .

ـ في القرآن الكريم : وردت لفظة منهاج في القرآن الكريم مشتقة على وزن صيغة المبالغة مفعال من الفعل الثلاثي الصحيح نهج ، كما تشير كذلك إلى اسم الآلة ، ومن ثم تفيد معني الآلية أو الوسيلة ، والمنهاج والمنهج والنهج بمعنى واحد بالرغم من اختلاف التكوين

الحرفي للكلمات الثلاثة ، قال تعالى " وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون"[1] وقد وردت لفظة منهاج في هذه الآية الكريمة لتعني الطريق الواضح وفق المضمون اللفظي ، إلا أن التفسير لمجمل الآية ومقاصدها يوسع من هذا المعنى كثيراً ويذهب به إلى معان أخرى .[2]

ـ في اللغة : جاء الفعل الثلاثي الصحيح " نهج " بمعنى وضح واستبان ، واشتق منها النهج على أنه المصدر ، وكذلك المنهاج والمنهج صيغتان مختلفتان وجميعها تعني الطريق الواضح المستقيم .

❖ الدلالات المصطلحية :

المصطلح عبارة عن لفظ أو رمز يتفق عليه في مجال معين من المجالات للدلالة على أداء معنى معين ، وقد تعددت الدلالات المصطلحية للفظة منهج ، نشير إلى أشهرها فيما يلي :

ـ الدلالة العامة : أشهر المعاني وأكثرها تداولاً واستخداماً لكلمة منهج هو الطريقة أو الوسيلة ، ومعنى ذلك أن المنهج يعني كل طريقة أو وسيلة تتبع من أجل التوصل إلى هدف أو تحقيق غاية محددة .

---

[1] سورة المائدة : ٤٨ .

[2] يمكن الرجوع إلى المجلد الأول : السياسة والحكم في الإسلام ، الجزء الثاني ، نحو صياغة نظرية سياسية إسلامية معاصرة ، الفصل الثالث ، حيث تم تفسير المنهاج على أنه النظام السياسي .

ـ في مجال البحث العلمي : كان للمنهج استخدامه المميز والشهير في مجال البحث العلمي والتعليم بشكل عام ، حيث أن هناك حقلاً علمياً مستقلاً يعرف " بالمنهجية " أو الوسائل البحثية ، ومناهج البحث العلمي هي عماد هذا الحقل ، فمنهج البحث هو الطريقة أو الوسيلة التي يتبعها الباحث من أجل البحث عن الحقائق والظواهر وترتيبها للتوصل إلى نتائج محددة ، ومنها المناهج التعليمية والمناهج الدراسية .. إلخ .

ـ استخدامات ذات خصوصية : استخدمت لفظة منهاج التي وردت في الآية الكريمة المذكورة أعلاه للدلالة على النظام السياسي الإسلامي ، وذلك ما جاء تفصيلاً في الجزء الثاني من المجلد الأول من هذا العمل الموسوعي[1] . هذا بالإضافة إلى استخدامات أخرى كثيرة ذات خصوصية لمصطلح المنهج .

ثانياً : التفسير التحليلي للمصطلح :

ثم ننتقل إلى تفسير المصطلح تفسيراً تحليلياً يتضمن إطاره العام وأبعاده المختلفة وغاياته المحددة ، ويتم ذلك من خلال الآتي :

❖ المنهج بمثابة طريقة محددة واضحة :

وهذا يعني أنه يتعلق بالفعل وكيفية الأداء ، فهو فعل رشيد حصيف يتم بمهارة وإتقان .

---

[1]. المرجع السابق .

obeikandl.com

❖ **يعتمد على قواعد وأصول علمية ثابتة :**

وهذه تمثل أهم سمات المنهج وخصائصه فهو ــ كما سبق وأوضحنا ــ فعل أو عمل رشيد حصيف لأنه يتم وفق قواعد وأصول علمية ثابتة ، اعتمدت بعد الملاحظة والتجربة والاختبار .

❖ **والمنهج يستخدم من قبل عنصر بشري معد ومهيأ ومدرب :**

أي أن ذلك العنصر يحمل مواصفات وخصائص معينة هي التي تمكنه من استخدام المنهج بكفاءة وجدارة حتى يحقق أهدافه ونتائجه .

❖ **يستخدم المنهج وسائل وأدوات :**

المنهج يستخدم وسائل وأدوات تلائم المجال والحقل الذي يستخدم فيه ، فالمنهج في مجال أو حقل العلوم الطبيعية التطبيقية يستخدم وسائل وأدوات غير التي يستخدمها في مجال أو حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية النظرية .

❖ **يستهدف المنهج تحقيق مقاصد وغايات :**

للمنهج مقاصده وغاياته ، وقد يكون للمنهج مقاصد وغايات وسيطة أو قريبة ومقاصد وغايات بعيدة أو نهائية ، وقد يقتصر على الوسيطة أو القريبة فقط ، وقد يتجاوزها إلى المقاصد والغايات البعيدة أو النهائية .

مما تقدم ننتهي إلى تعريف المنهج على أنه **طريقة محددة واضحة تعتمد على أصول وقواعد علمية ثابتة ، ويستخدم أدوات ووسائل مناسبة ، ويقوم به عنصر بشري مدرب وخبير ، ويستهدف تحقيق مقاصد وغايات محددة .**

المبحث الثاني

في مضمون الطرح وخصوصياته

ننتقل إلى المصطلح الثاني من المصطلحات التي نوضحها في هذا الفصل وهو مدرك الطرح ، ولهذا المدرك منذ البداية خصوصيته وخصوصية استخدامه في هذا العمل الموسوعي ، ويمكننا دراسة وتحليل مصطلح الطرح من خلال الآتي :

أولاً : المعاني والدلالات المختلفة :

لمدرك الطرح معاني ودلالات مختلفة منها ما يعتمد على محتواه اللفظي ، ومنها ما ينصرف إلى دلالاته المصطلحية التي اكتسبها من استخدامه وتداوله ، ونوضح ذلك فيما يلي :

❖ المضمون اللفظي :

يمكننا استنباط المضمون اللفظي لمدرك الطرح من خلال الاستعانة بمرجعيتين ، الأولى القرآن الكريم ، والثانية المرجعيات اللغوية ، وذلك كما هو وارد :

ـ في القرآن الكريم : جاءت لفظة " الطرح " مرة واحدة في الآية التاسعة من سورة يوسف في صيغة فعل الأمر ، وذلك بمعنى الإلقاء أو البسط ، قال تعالى " أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين "[1] ، وجاء فعل الأمر بمعنى ألقوه في أرض بعيدة حتى لا يتمكن من العودة إلى أبيه وهو حديث السن .

---

[1]. سورة يوسف : ٩ .

ـ في اللغة : الطرح في اللغة هو مصدر الفعل طرح الثلاثي الصحيح ، وهو يعني ألقى وبسط وعرض ، وكلها ترد في مجال الأفكار والآراء ، وقد ترد في نواح أخرى مثل : طرح الشجر من الثمر ، وطرح البحر أو النهر من الطمي الذي يلقيه على الشاطئ .

❖ الدلالات المصطلحية :

وبالنسبة إلى الدلالات المصطلحية فلكلمة الطرح أكثر من دلالة مصطلحية نشير إلى أهمها في الآتي :

ـ المغزى العام : للكلمة معنى عام شائع الاستعمال حيث يعني الطرح ما يُطرح على الناس أو يُعرض أو يُلقى عليهم من آراء وأفكار تحمل سمات الابتكار والتجديد .

ـ معاني ذات خصوصية : كذلك للطرح معاني أخرى ذات خصوصية مثل الأطاريح وهي جمع أطروحة التي هي الرسالة العلمية وبالذات الرسالة المقدمة لنيل درجة الدكتوراه .

ثانياً : التفسير التحليلي للمصطلح :

ويمكن تفسير المصطلح بشكل تحليلي من خلال ما يلي :

❖ فالطرح هو بمثابة رؤية أو رأي أو معالجة تقدم من قبل شخص يملك مقدرات ومؤهلات الاجتهاد .

❖ ما يقدم من رؤى وآراء ومعالجات لشؤون ومسائل الحياة ، يتسم بالابتكار والإبداع ، وهنا يتميز الطرح عن الآراء الجدلية العقيمة .

❖ كذلك يتحلى الطرح بالمثالية والنموذجية ، ولعله من قبيل المنطق أن يلتقي الابتكار والإبداع بالمثالية والنموذجية ، وهنا يلاحظ مرة أخرى تميز الطرح عن الآراء والأفكار التي يلقي بها أصحابها كوجهات نظر متعارضة أو آراء خلافية متضاربة .

❖ للطرح بالمواصفات السابقة مصادره ومنابعه التي تتمثل في : العقل والثقافة والقيم والمثاليات والأخلاق ، وما قدمه الآخرون من طروحات قيمة .

❖ الطرح يستهدف في المعتاد تقديم الأمثل والأفضل والأصوب ، سواء أكان في مجالات الابتكار والاجتهاد والإبداع أو في مجال معالجة المسائل والقضايا التي تتعلق بشئون المجتمع وأحواله وظروفه .

obeikandl.com

المبحث الثالث

ماهية منهج الطرح الإسلامي

في هذا المبحث نعكف على تقديم تفسير تحليلي لمنهج الطرح الإسلامي ، وسيتم ذلك التفسير من خلال العناصر التالية :

أولاً : هو أسلوب علمي ذو أصول وقواعد :

وهنا نميز بين منهج الطرح الإسلامي وبين ما يقدم من إسهامات مقصدها الوعظ والإرشاد والتوجيه فيما يرتبط بأحكام العبادات والمعاملات والحدود ، وكذلك ينبغي أن نميز بوضوح تام بين المنهج – بالشكل الذي سبق لنا أن أوضحناه – وبين الطروحات التي يتوصل إليها ذلك المنهج ، فالطروحات هي الآراء والوجهات التي تنتج عن هذا المنهج في شكل أدبيات أو في أية نماذج أخرى .

إن منهج الطرح الإسلامي هو أسلوب علمي ، ومعنى ذلك أنه يعتمد على البحث والتنقيب والتحليل وفق مناهج وطرق بحثية ، ومن ثم فإن ما ينتج عن ذلك المنهج من وجهات ورؤى وطروحات وآراء ليست أبداً آراء وأفكار ورؤى شخصية ذاتية ، ولكنها علمية مجردة مرتكزة على قواعد وأصول ، ومعبرة عن رأي الإسلام ووجهته حسب ما تتضمنه مرجعياته الشرعية .

الحديث عن منهج الطرح الإسلامي وعرض ذلك المنهج بوضوح ودقة يفيد أن الإسلام دين العلم ولا تصدر آراؤه وطروحاته إلا بأسلوب علمي رصين ، وهذا تفنيد لما أورده كثير من المستشرقين وغيرهم من أبناء الإسلام من مزاعم وأراجيف ترى وتردد أن الإسلام يجافي العلم

، ولا يعرف في آرائه ووجهاته الأسلوب العلمي ، بل أن كل ما يصدر عنه هو أفكار قطعية دوجماطيقية غير مبررة .

ولا عجب في أن الطروحات الإسلامية والآراء والوجهات تصدر عن أساليب وقواعد وأصول علمية معروفة في مجال منهجية البحث ، بل أن ثمة مسائل وقضايا تصدر بخصوصها آراء ووجهات الإسلام مبنية على أحدث وسائل البحث العلمي وآخر ما توصل إليه البحاثة .

ولا بأس في أن نطمح نحن المسلمون في اعتماد منهج علمي دائم التطور والرقي يخص قضايانا وموضوعاتنا سواء الشرعي منها أو الاجتماعي أو الطبيعي الدنيوي ، وهذا ما كان عليه حال المسلمين في عصور الازدهار الحضاري والإبداع الثقافي ، فقد كان لهم منهجهم العلمي الخاص بهم والذي يتلاءم مع كافة القضايا وجميع المسائل ، وقد نقل الأوربيون هذا المنهج ومنهم من اعترف بانتسابه إلى المسلمين ونسبه إليهم منصفاً أميناً ، ومنهم من نسبه لأوربا مجحفاً جاهلاً .

وإذا كان هذا هو حال منهج الطرح الإسلامي وما ينبغي أن يكون عليه ، فإن الباحثين العلماء أصحاب تلك الطروحات والآراء والوجهات والرؤى ينبغي أن يكونوا على مقدرة فائقة في استخدام ذلك المنهج العلمي وفق أحدث أساليبه ووسائله ، ليس هذا فقط بل ينبغي أن يكونوا على مقدرة لا تقل فوقاً في الاجتهاد والإبداع والابتكار بمواكبة ظروف الحياة ومستجداتها ، فالعالم المسلم ينبغي أن يكون متبعاً في الدين والشرع أصولاً وقواعد ومبتدعاً في الدنيا ليستوعب متغيراتها ويحتوي مستجداتها .

إن متغيرات الحياة ومستجداتها وما تطرحه من إشكاليات ومسائل تحتاج إلى من يتعمق فيها ويدرسها ويحلل جزئياتها ، وهذه المتغيرات والمستجدات هي التي تحتاج إلى

الأسلوب العلمي بقواعده وأصوله حتى يتم تكييفها بشكل صحيح ودقيق مع الأصول والقواعد المستنبطة من المرجعيات الإسلامية والتي سوف نتصدى لها بعد قليل .

إن الأسلوب العلمي هو الأمثل والأنسب لدراسة الظواهر الحياتية سواء أكانت متغيرة أو مستجدة ، ونتائج ذلك البحث والدراسة في غاية الأهمية لمضاهاتها وتكييفها مع ثوابت الشرع ورواسخه ، ونجاح وكفاءة منهج الطرح الإسلامي مرهونتان بمدى الدقة والجدية في دراسة تلك الظواهر بشكليها المتغيرة والمستجدة ، والدراسة بدورها متوقفة على الاستخدام الصحيح للمنهج العلمي ، إن أصوليات الشرع وقواعده لا يمكن أن تصطدم بمتغيرات الحياة ومستجداتها دون دراستها وتحليلها ، وإذا حدث ذلك فسوف تكون النتائج مخيبة للآمال ، فستظل تلك المتغيرات والمستجدات دون علاج وسيرى المسلمون في مرجعياتهم العجز والانعزال عن مجريات الحياة وواقعها .

ولعل المتابعة الدقيقة المتأنية للتاريخ الإسلامي خلال فترتي الازدهار والتفكك والانهيار ، ومقارنة سلوك المسلمين في استخدامهم للأسلوب العلمي في مواجهة المتغيرات والمستجدات ، ليوصلنا إلى نتائج مهمة : منها أن المسلمين في عصر الازدهار الحضاري والإبداع الفكري الثقافي كانوا بارعين في استخدام المنهج العلمي في دراسة المتغيرات والمستجدات فكيفوها مع الأصول والقواعد الشرعية ، ومن ثم جاءت طروحاتهم غاية في الإبداع والمثالية والدقة ولا تزال حتى الآن ، ومنها كذلك أن المسلمين في عصر التفكك والانهيار وعندما أغلق باب الاجتهاد وساد الجهل وعم التخلف عز عليهم استخدام المنهج العلمي في دراسة المتغيرات والمستجدات ، ومن ثم أخفقوا في علاج تلك المتغيرات والمستجدات بما يوائمها من أصول وقواعد الشرع ، فظلت دون معالجة واعتمدوا على الطروحات التي خرجت في عصر الازدهار والإبداع وظنوا أن أصول وقواعد الشرع عاجزة عن معالجة المتغيرات والمستجدات.

لقد استخدم المنهج العلمي في كافة جزئيات هذا العمل الموسوعي ، وبما يتواءم مع الفروع والحقول الحياتية والاجتماعية والإنسانية المختلفة . فكانت دراسة الظواهر وتحليلها قبل استنباط ما يضاهيها من أصول الشرع وقواعده وقد جاءت تلك التحليلات والدراسات وفق أحدث طرق معالجتها وحسب آخر تطوراتها .

ثانياً : يعرض لوجهة نظر الإسلام :

إن منهج الطرح الإسلامي يعرض لوجهة الإسلام وآرائه في كافة المتغيرات والمستجدات التي تعج بها الحياة الاجتماعية ، ونخلص من ذلك إلى أن الطروحات الإسلامية لا تعبر عن رأي الفرد أو الجماعة ، ولكنها تعبر عن وجهة الشرع الحنيف كما جاءت من عند الخالق العظيم ، وهنا يتضح البون الشاسع بين الطروحات والرؤى البشرية التي يغلب عليها الاجتهاد الشخصي والرأي الفردي اللذان يقودهما العقل البشري المعرض للزلل والخطأ وبين الطروحات والآراء الإسلامية التي جاءت جميعها معبرة عن المثالية والنموذجية التي أرادها الشارع سبحانه لعباده المؤمنين .

وتتجلى عظمة الطرح الإسلامي في كونه يجعل من الأصول والقواعد الثابتة الراسخة التي نزلت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان مصدراً لآراء وطروحات ورؤى تعالج متغيرات ومستجدات تذخر بها الحياة في الوقت الراهن ، ويوضح هذا بجلاء معادلة الأصالة المعاصرة التي تعبر عن جوهر الإسلام وواقعه الذي يحاول المسلمون اكتشافه واستيعابه ، ولكن كيف للأصل والقاعدة الثابتة التي جاءت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً أن تعالج قضايا ومسائل استجدت بعد نزول تلك الأصول والقواعد بهذا الزمن الطويل ، فالأصل والقاعدة ثابت لم يتغير أما القضايا والمسائل فهي دائمة التغير والتبدل ! إن هذا يعني أن الأصل والقاعدة

يحملان في ثناياهما خصائص ومزايا غير عادية وغير متوافرة في أية أفكار أو نظريات من إنشاء الإنسان ومن بنات أفكاره ، وهذه هي خاصية التواؤم مع المتغير والتكيف مع المستجد ، ولكن هذه الخاصية في حاجة إلى من يجليها ويبرزها ، فهي كامنة في مكنون تلك الأصول والقواعد ، وهذه مهمة علماء المسلمين ، فهم وحدهم القادرون على القيام بهذه المهمة من خلال دراساتهم المستفيضة للمتغيرات والمستجدات وفهمهم العميق لطبيعة الأصول والقواعد الشرعية .

إن ما تقدم يلتقي مع حقيقة أن الإسلام نظام اجتماعي ذو أبعاد عديدة ، وهذه الأبعاد تقوم على تفاعلات تفرز باستمرار المتغيرات والمستجدات التي تحتاج إلى المعالجة والاحتواء حتى يستمر النظام ويؤدي مهامه كما أريد له ، ولو كان الإسلام ديناً ونسكاً وشعيرة فقط لما وجدت في ثناياه التفاعلات التي تفرز دوماً المتغيرات والمستجدات ، لأن النظام الاجتماعي يقوم على التفاعل والحركة ، أما الشعيرة فمتغيراتها محدودة ومستجداتها قد تكون معدومة ، فالشعيرة في ذاتها ثابتة لا تتغير أما البيئة التي تؤدى من خلالها فهي التي تلحق بها بعض التغيير .

إن كون الإسلام يحمل في طياته نظاماً اجتماعياً متكاملاً ومتفرداً في تفاعلاته وتطوراته هو الذي عدد المتغيرات ونوع المستجدات وحتم بالتالي ضرورة تقديم المعالجات والآراء التي تتفاعل وتتعاطى مع تلك المتغيرات والمستجدات لتحتويها وتطوعها وتذيبها داخل ذلك النظام الاجتماعي لتصبح جزءاً منها .

إن المتغير أو المستجد لا يمثل في حد ذاته مشكلة ، ولكنه يعد إشكالاً عندما يتعارض ويتنافى ويتصادم مع أصل ثابت وقاعدة راسخة من أصول وقواعد الشرع ، وهذا التعارض يعني أن ثمة اغتراباً وتنافراً وعدم ائتلاف بينهما ، وعندئذ يعن إشكال التآلف والاحتواء

والتطويع ، وهنا يبرز دور المعالجة التي تأتي في شكل طرح أو رأي أو وجهة ، ويقيم ذلك الدور التآلف بين الأصول والقواعد وبين المتغير والمستجد ، وبموجب ذلك التآلف وبفعله يصبح المتغير أو المستجد جزءاً لا يتجزأ من النظام الاجتماعي ويتغلغل في نسيجه ، ومع الزمن يفرز النظام الاجتماعي متغيرات ومستجدات أخرى وتستمر هذه العملية سمة مميزة للإسلام كنظام اجتماعي ديناميكي .

ثالثاً : الطروحات مستنبطة من المرجعيات الإسلامية :

قدمت عقيدة الإسلام نظاماً اجتماعياً فريداً من نوعه ، تقوم أركانه وركائزه على أصول وقواعد ثابتة راسخة في مفردات تلك العقيدة ، وجعلت من هذه المفردات مرجعيات نهائية تمد ذلك النظام بالآليات والوسائل التي تربطه بواقع الحياة الدائم التغير والمستمر التطور ، وعليه فكل ما يقدم بخصوص علاقة النظام الاجتماعي بالمتغيرات والمستجدات يتبني المصدر راسخ المنبع وهي المرجعيات الإسلامية المتمثلة في : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ونموذج دولة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ودولة الخلفاء الراشدين .

وتتسم المرجعيات الإسلامية مصدر الطروحات والآراء والوجهات الإسلامية بالخلود والثبات والرسوخ ، وهذه السمات منحتها الجدارة والصدقية . فهي لا تتبدل تبعاً للأهواء والمشارب ، ولا تتغير وفق الأزمات والأحداث والتطورات ، ولا تتحول حسب الأماكن ، فما فيها من أصول وقواعد اكتسب نفس سماتها من الخلود والثبات والرسوخ .

وإذا كان ذلك هو حال المرجعيات الإسلامية بسماتها الخاصة وعلاقاتها المتميزة بالنظام الاجتماعي وبتطوراته وأحداثه ، فكيف لتلك المرجعيات أن تحتوي المتغيرات وتطوع

المستجدات وهي التي جاءت منذ مئات السنين ؟! إن ثمة وسيلتين مهمتين تمكنان تلك المرجعيات من القيام بمهمتها الحيوية للفرد وللمجتمع .

الوسيلة الأولى تتحدد في علماء المسلمين الذين يجمعون بين دراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية والطبيعية وبين التعمق في المرجعيات الإسلامية وفقهها ومن ثم تسهل عليهم عملية الاستنباط والمواءمة بين الأصول والقواعد التي تحويها المرجعيات الإسلامية وبين متغيرات ومستجدات الواقع الاجتماعي الإسلامي .

ولابد من الإشارة إلى حنكة وخبرة علماء المسلمين التي تعد مطلباً ضرورياً لتمكين المرجعيات الإسلامية من القيام بدورها في الاحتواء والتطويع للمتغيرات والمستجدات ، فالمرجعيات تحوي الأصول والقواعد ، والأخيرة تتوقف على مهارة ودراية العلماء الذين يغوصون في تلك المرجعيات ويخرجون بالأصول والقواعد التي يؤسسون ويرسخون عليها آراءهم وطروحاتهم تجاه المتغيرات والمستجدات .

ومهمة الاستنباط والمواءمة ليست بالمهمة الميسرة ، ولكنها تتطلب القيام بمهمتين في آن واحد : المهمة الأولى تتمثل في عملية الاستنباط أي الاهتداء إلى الأصول والقواعد ، والمهمة الثانية تتجسد في عملية المواءمة وتتم تلك المواءمة . بمضاهاة الأصول والقواعد بالمتغيرات والمستجدات ، لتحديد طرق وأساليب التعامل معها ، وتبيان رأي الإسلام فيها ، وكلتا المهمتين يحتاج إلى تعمق وتضلع في المرجعيات من ناحية وفي الظواهر المتغيرة أو المستجدة من ناحية أخرى .

الوسيلة الثانية تتعين في أن المرجعيات الإسلامية في ذاتها تحوي كل شيء أو ترشد إليه ، فالباحث الدقق في المرجعيات الإسلامية يكتشف بسهولة أن تلك المرجعيات كافية تحوي

الحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعي ، فما لم يوجد نصاً في تلك المرجعيات توجد دلالاته وعلاماته .

ومنذ وقت طويل والحقيقة الأخيرة قد أثارت دهشة البعض وحفيظتهم معاً ، إذ تساءلوا كيف لهذه المرجعيات التي جاءت منذ مئات السنين أن تحوي أو تستوعب المتغيرات والمستجدات التي تظهر اليوم أو في الأيام القادمة ؟! إن المرجعيات الإسلامية تحمل من الدلالات والعلامات والمؤشرات ما يعد كافيا تماماً لاحتواء المتغيرات واستيعاب المستجدات ، إضافة إلى أنها قد خولت علماء الأمة المسلمين مهمة الاجتهاد من أجل الاحتواء والاستيعاب مسترشدين بالأصول والقواعد والمؤشرات ، ومن ثم يكون هؤلاء العلماء من خلال اجتهادهم قد تولوا مهمة سد الفراغ التشريعي .

والفراغ التشريعي الذي يمكن أن نتلمسه إزاء بعض المتغيرات أو المستجدات لم يكن فراغاً تشريعياً في الأصول والقواعد ولكنه يعتري المتغيرات والمستجدات ، وذلك الفراغ يُسد دوماً من خلال اجتهاد علماء الأمة في التحري والبحث والتنقيب الذي ينتهي بالاحتواء والاستيعاب ، وبذا يكون الشرع قد أوجد من الوسائل والآليات ما يسد أي فراغ ويعالج أي نقص في احتواء المتغيرات واستيعاب المستجدات .

رابعاً : الطروحات والآراء هي المنطق الثقافي الإسلامي وقوام الثقافة الإسلامية :

إن ما تقدم من طروحات إسلامية وآراء ووجهات مقصدها احتواء المتغيرات واستيعاب المستجدات ، وتمثل مخرجات منهج الطرح الإسلامي لتعد أداة المنطق الثقافي الإسلامي وقوام الثقافة الإسلامية ، فالأخيرة ما هي إلا جماع تلك الطروحات والرؤى على اختلاف موضوعاتها ومجالاتها ، وهي في ذات الوقت المقدمة الضرورية واللازمة منطقياً لقيام

الحضارة الإنسانية عموماً والإسلامية بشكل خاص ، ولعل هذه العلاقة الدقيقة والمتشابكة بين الطروحات الإسلامية والثقافة الإسلامية ، وعلاقة الاثنين معاً بالحضارة وعلاقة الجميع بالمفاهيم ذات الارتباط مثل التفكير والفكر والمعرفة لهي في حاجة إلى إيضاح وتفصيل نعكف عليهما في هذه الجزئية :

❖ التفكير :

هو ملكات وعمليات ذهنية تذهب إلى إدراك مدلولات المحسوسات والمعنويات ، وهو سمة تسم جنس الإنسان بشكل عام وتميزه عن غيره من المخلوقات والكائنات الأخرى المعهودة في الكون .

❖ المعرفة :

التفكير بدوره يسلم إلى المعرفة ويقدم لها ، وتتم عن طريقه ، فالمعرفة هي الاستخدام المنظم للتفكير من أجل اكتساب الخبرات والتجارب حول عناصر الوجود وعلاقة الإنسان بها وبالمجتمع البشري .

❖ الثقافة :

من خلال التفكير والمعرفة يتركب الكون الثقافي الذي هو مزيج يحمل خصائص مميزة ويتكون من عناصر ثلاث :

ـ العنصر الأول : وهو عبارة عن مكتسبات وملتقطات من خبرات الآخرين وتجاربهم ومعارفهم .

obeikandl.com

ـ العنصر الثاني : وهو عبارة عن المخزون الذاتي المركب من الجزيئات التالية :

□ الموروثات الثقافية والحضارية ، وهي ممتلكات موروثة تنتقل عبر الأجيال وتحظى بالاحترام والتقدير لأنها من صنع السلف .

□ العادات والتقاليد والأعراف ، وهي السلوكات والتصرفات التي اعتادها الناس وألفوها وباتت تجد لديهم استحساناً وقبولاً وارتياحاً إلى أن صارت جزءً منهم من الصعب التنصل منه بالرغم مما قد يلحق بها من قدم وعدم مواكبة للزمن والتطور .

□ الأخلاقيات والقيم والمثل والمبادئ ، وهي في مجملها قيم مثالية تعكس الفضائل التي تسمو بفكر الناس وسلوكهم نحو الأمثل والأفضل في اتجاه ما ينبغي أن يكون .

□ المعتقدات الدينية ، وهي المعتقدات التي ترتبط بعاطفة التدين ، وهي ذات طبيعة شعائرية وتتمتع بقداسة مطلقة .

ـ العنصر الثالث : وهو النظرة الذاتية للكون والطبيعة والحياة والمجتمع وعلاقاتها جميعاً ، وهذه النظرة لها اتصال مباشر بما سبق من عناصر .

وعندما تتكون الثقافة من العناصر السابقة وتتحول إلى مزيج مركب يحمل خصائص مميزة ومغايرة لخصائص كل عنصر من العناصر السابقة ، تخرج تلك الثقافة في أشكال معينة منها الطروحات والآراء والرؤى وغير ذلك .

هكذا تكون الثقافة الإسلامية من حيث التكوين والعناصر والتفاعلات والخرجات ، ولكن ما يميزها هو سيادة المعتقد على كافة العناصر المكونة لها فتصطبغ بصبغته .

❖ الحضارة :

تتحول المخرجات الثقافية من طروحات ورؤى وآراء إلى سلوكات موجهة نحو عناصر الوجود ومعطيات الطبيعة والمجتمع الإنساني ، وهذا السلوك هو عينه الحضارة ، فالثقافة إذن فكر يخرج في صور وأشكال وأنماط ، أما الحضارة فهي تفاعل وتحاور وتعاطي سلوكي مع عناصر الوجود ومقومات المجتمع الإنساني ، وينتج عن كل ذلك أشكال ونماذج هي أشكال ونماذج الحضارة من عمران ومدنية وعلوم ونظم وتنظيمات وبنى وهياكل اجتماعية ، وهكذا كان موقع الطروحات الإسلامية بين الثقافة والحضارة ، وذلك ما يوضحه الشكل البياني التالي .

obeikandl.com

شكل بياني رقم (١) يوضح العلاقة بين مدركات التفكير والمعرفة والثقافة والحضارة وموقع الطروحات الإسلامية من تلك المدركات

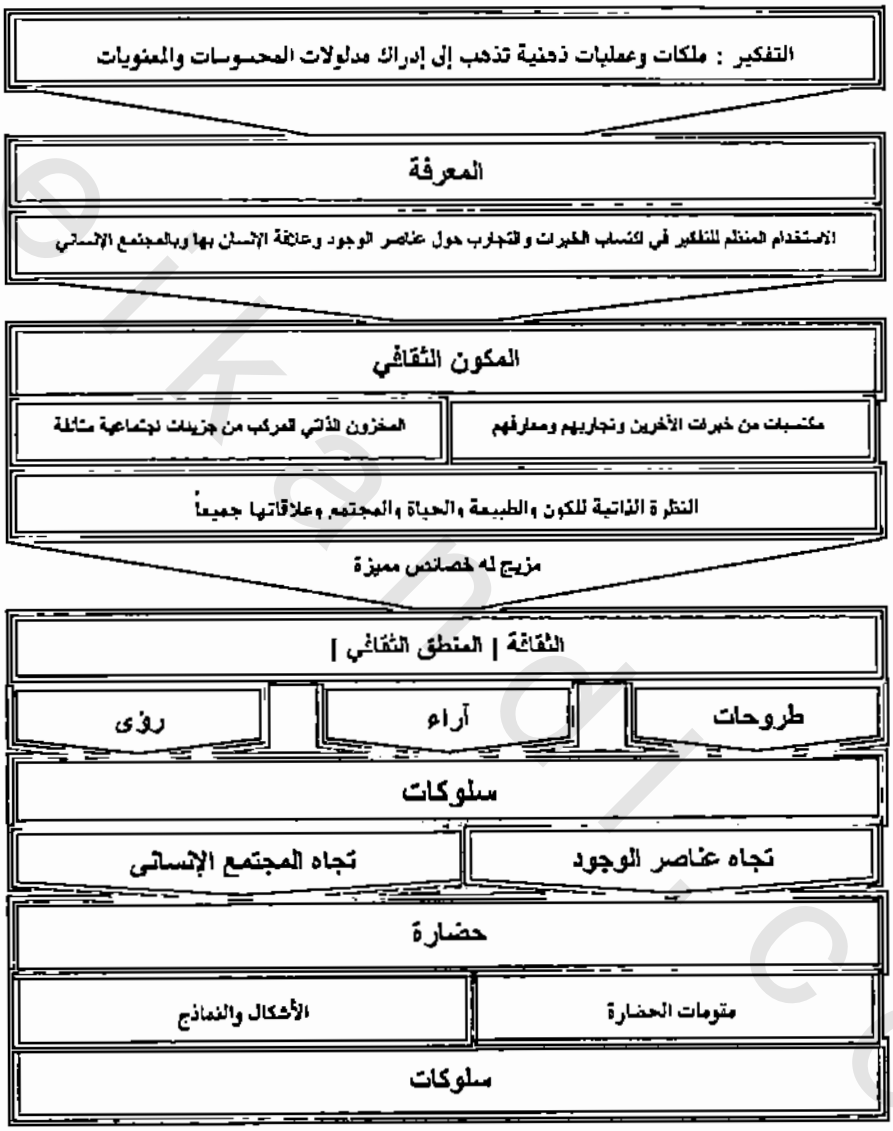

مما تقدم يمكننا الانتهاء إلى تحديد مفهوم منهج الطرح الإسلامي على أنه أسلوب علمي ذو أصول وقواعد ، يعرض لوجهة نظر الإسلام في كافة المتغيرات والمستجدات والمسائل والقضايا التي تتعلق بالمجتمع البشري وعلاقته بعناصر الوجود من حوله ، وهذه الوجهات والآراء مستنبطة من المرجعيات الإسلامية المتمثلة في : القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ونموذج دولة الرسول الكريم وخلفائه الراشدين ، وتمثل المنطق الثقافي للإسلام الذي يواجه به الكون والمجتمع الإنساني ، وهو في ذات الوقت قوام الثقافة الإسلامية .

obeikandl.com